

المبدأ الأبدي

نانسي سالفاتو

موقع قضايا أمن الأسرة

30 أغسطس 2010

Eternal Principle

By Nancy Salvato

Family Security Matters Website

ترجمة: علي الحارس (alharis.a@gmail.com)

- رئيسة برنامج التثقيف الدستوري في مشروع الأساسيات.
- كبيرة محررين في موقع (نيو ميديا جورنال).
- ماجستير في التعليم المبكر للأطفال. جامعة ناشيونال لويس.

نانسي سالفاتو

في كتاب (حول القوانين) للخطيب اليوناني الشهير شيشرون (ولد عام 105 ق.م وقتله جنود مارك انطونيو عام 43 ق.م) نقراً:

لم تكن القوانين أبداً من الأمور التي يتدبرها ذكاء الإنسان. ولم تتأسس على أي حكم يصدره الشعب. وإنما كانت مبدأً أبدياً يحكم الكون بأجمعه. فيصدر أحكامه الحصيصة للأمر بالصواب والنهي عن الخطأ.

وفي إعلان الاستقلال نجد صدى لهذه الحقيقة الأبدية بخط توماس جيفرسون عندما يشرح وظيفة الحكومة في حماية الحقوق التي وهبتها السماء.

كيف لنا أن نعلم بهذه الحقوق؟

يشرح شيشرون ذلك بأن القانون الأعلى هو «عقل الرب». وأن الرب يحثنا على فعل الخير وتجنب الشر منذ اللحظة الأولى لوجودنا عبر قوة العقل. يقول شيشرون:

حتى يكون القانون جديراً بأن يطلق عليه اسم «القانون» يجب أن يكون جيداً وحميداً من الناحية الأخلاقية. ومن الواضح. كما يقال. أن القوانين جاءت أساساً لحماية الناس. والمحافظة على الدول. وسلام المجتمع وسعادته؛ وأن أوائل من سن هذه التشريعات أقتنعوا الناس بأنهم ما كانوا ليكتبوا هذه القوانين وينشروها

المبدأ الأبدي

لو لم تكن كفيلة بالإسهام البناء في السلوك العام وسعادة الجميع في حال تقبلها وإطاعتها.

ومن الواضح أن جيفرسون والآباء المؤسسين فهموا المبدأ الخالد الذي فسره شيشرون وآمنوا به. فهو يكتب أن الناس:

منحهم الخالق حقوقا معينة لا يمكن انتزاعها منهم. ومن بينها: الحياة. والحرية. والسعي إلى السعادة... ولضمان هذه الحقوق تم تأسيس الحكومات بين بني الإنسان. مستمدة سلطاتها العادلة من قبول المحكوم.

ويشرح ذلك شيشرون قائلا:

لا قانون سوى قانون العدل جدير بأن يتبنى أو يفرض.

ويكتب جيفرسون:

عندما يؤدي أي شكل من أشكال الحكومة إلى تدمير هذه الغايات. فمن حق الناس تغييره أو إبطاله. وتأسيس حكومة جديدة تقوم على أساس هذه المبادئ وتنظم سلطاتها بالشكل المناسب. على نحو يرضي تطلعات الناس في ما يخص أمنهم وسعادتهم.

لقد استفاد شيشرون في شرح المبدأ الخالد. وقدم رؤيته حول العلاقة ما بين الرب والإنسان في كتابه (حلم سيبيو) الذي نجد فيه مقاطع كثيرة تتحدث عن هذا الموضوع. ولكنني سأقتصر على مقطع واحد من المقاطع المفضلة لدي. وفيه يشرح شيشرون الغاية من وجود الإنسان على الأرض قائلا:

أحسن الأعمال ما تخدم به وطنك؛ ومن يخلص روحه لهذا العمل يسهل عليه شق طريقه إلى حيث تجد أرواح البشر ووطننا حقيقيا أصيلا. إن تحليق الأرواح إلى

المبدأ الأبدى

هناك سيكون أسرع إن تمكنت في أثناء وجودها في الجسد من التجول الواسع في تأملاتها واجتراح طرق للتخلص من هيمنة الجسد ما أمكن. وعندما يفشل المرء في ذلك، ويتخلى عن الروح مستغرقاً في ملذات الجسد وقيوده التي تكبل الروح، ويسمح لإغراءات المتعة أن تفنec الروح بانتهاك قوانين الرب والإنسان؛ فإن هذه الروح لن تتمكن بعد مفارقة الجسد إلا أن تحوم بضعف قريباً من الأرض، ولن تتمكن من العودة إلى مكانها الملائم في السماء إلا بعد أن تعاني دهوراً من العذاب.

إن أفكار شيشرون وتأملاته ليست خاصة بعصر دون غيره؛ فإما أن يكون هنالك غاية من وجودنا على الأرض، وإما نحن لا شيء. وفي هذه اللحظة من تاريخنا يتوجب علينا أن نفكر لوهلة بالمبدأ الأبدى ومكاننا منه.

إنني أعتقد شخصياً أن كل واحد منا موجود على هذه الأرض ليتعلم، ويعلم، ويترك هذه الأرض أفضل مما كانت عليه؛ فروحي مشتاقاً دائماً إلى أن تتحرر.